إهداءات ٢٠٠١

المرحوم/ محمد راغب عباس

وكيل وزارة الثقافة سابقا

ات فى الإسلام
١ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وزارة الأوقاف

نبذة فى الإسلام

محمد عطية الإبراشى

(٢)
السنة الأولى
١٥ رمضان ١٣٨٠
٢ مارس ١٩٦١

على إصدارها
توفيق عويضة

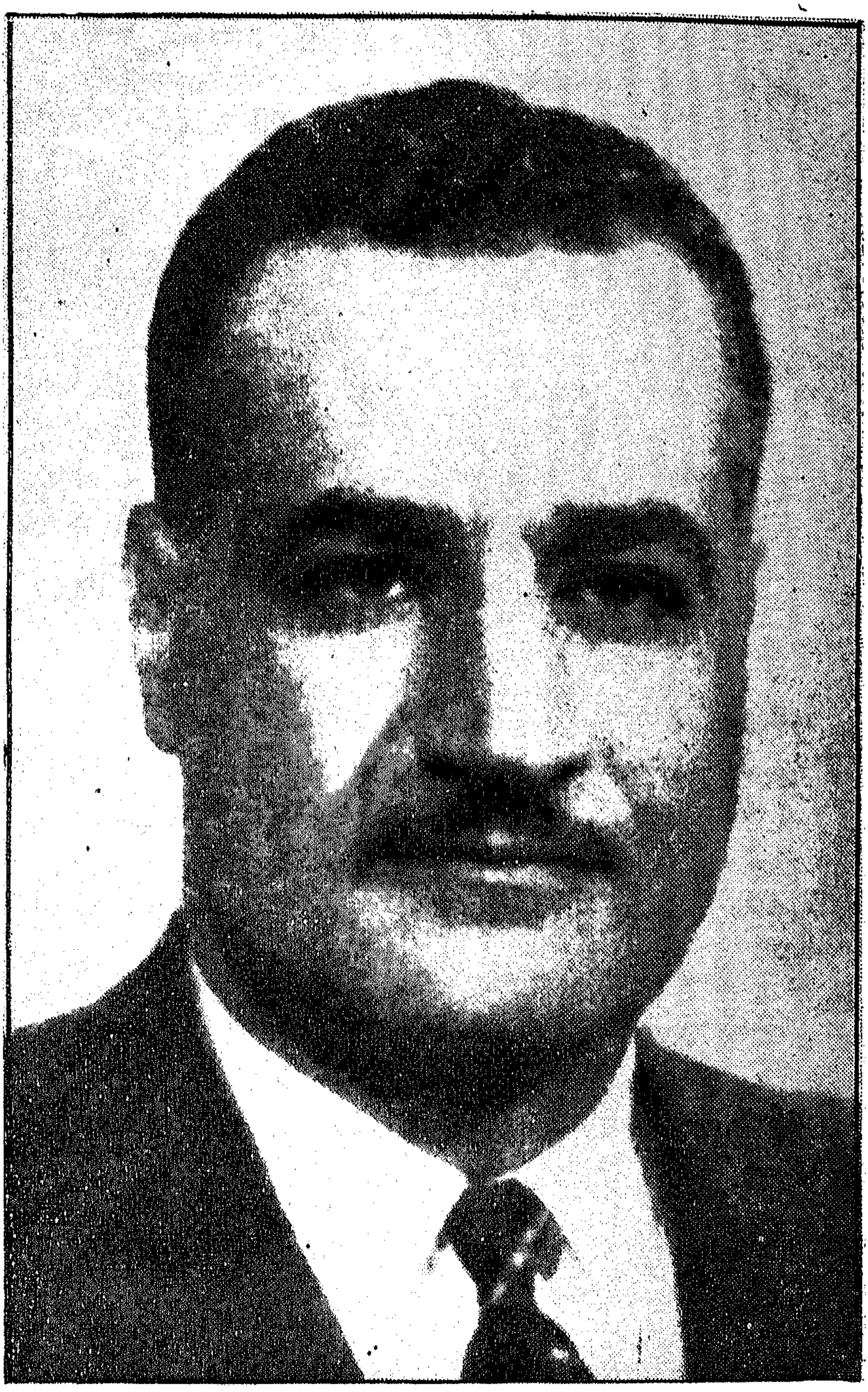

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين • وبعد فلايستطيع أحد من المربين والمؤرخين أن ينكر أن التربية الاسلامية هي الأساس المتين لحضارة المسلمين ، والمثل العليا فى تلك التربية تتفق مع الاتجاهات الحديثة فى عالم التربية اليوم ، فقد قدس الاسلام العلم والعلماء ، وسما بالعلم الى درجة العبادة ، وعنى العناية التامة بجميع أنواع التربية ، وخاصة التربية الروحية والدينية والخلقية ، ونادى بالحرية والمساواة وتكافؤ الفرص بين الأغنياء والفقراء فى التعليم ، وقضى على نظام الطبقات ، وفرض طلب العلم على كل مسلم ومسلمة ، وأعطاهما كل وسيلة للتعليم ، اذا وجدت لديهما الرغبة فى العلم والاقبال عليه •

وقد فتحت المساجد والمعاهد ، ودور العلم والحكمة ، ودور الكتب ، والحلقات الدراسية ، والمنتديات الادبية والعلمية أمام الطلاب للتعلم والدراسة والبحث • وقدمت اليهم الدولة كل ما يحتاجون اليه ، من طعام ومسكن وعلاج ومساعدات مالية ، لتمكنهم من المعيشة فى الحياة ، والتفرغ لطلب العلم •

وانا لا نفخر اذا قلنا ان مبادىء التربية الحديثة التى نادينا بها فى منتصف القرن العشرين ـ ولم تستطع الدولة المتمدنة تنفيذها كلها حتى اليوم ـ قد روعيت ونفذت فى التربية الاسلامية ، فى عصورها الذهبية ، قبل أن تخلق التربية الحديثة بمئات السنين .

ومن تلك المبادىء المثالية فى التربية الاسلامية : التربية الاستقلالية ، والاعتماد على النفس فى التعلم، والحرية والديمقراطية فى التعليم ، ونظام التعليم الفردى ، ومراعاة الفروق الفردية بين الأطفال فى التعليم والتدريس ، وملاحظة الميول والاستعدادات للمتعلمين ، واختبار ذكائهم ، ومخاطبتهم على قدر عقولهم ، وحسن معاملتهم ، والرفق بهم ، والعناية بالتربية الخلقية ، وتشجيع الرحلات العلمية ، والاهتمام بالخطابة والمناظرات ، والتربية اللسانية، والاكثار من دور الكتب ، وتزويدها بكل ما يمكن من الكتب القيمة ، والمراجع النادرة ، وتشجيع الطلاب على الانتفاع بما فيها من ذخائر نفيسة، والمثابرة على الدراسة والبحث ، والتعليم من المهد الى اللحد .

ولا تعجب اذا سمعت أن وظيفة المعيد التى نجدها اليوم فى الكليات والجامعات كانت متبعة فى المعاهد الاسلامية فى عصورها الذهبية وأن نظام الجامعات الشعبية مقتبس من التربية الاسلامية، فقد كان طلب العلم غير مقيد بشروط استعمارية فولاذية ، واعمار محدودة ، وشهادات معينة ، ودرجات معدودة ، وكانت ابواب المساجد والمعاهد الدراسية مفتوحة لجميع الراغبين فى العلم والتعلم .

ولكن يؤسفنا أن نقول ان المؤرخين والادباء والفقهاء وفلاسفة الاسلام لم يعنوا فى القرون الوسطى بالتاليف فى التربية الاسلامية

العناية التى تستحقها ، فى حين أنهم كتبوا وأسهبـــوا ، وأجادوا الكتابة عن الحضارة الاسلامية ، والانتصارات الحربية ، والشئون الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الاسلام • فقد تقرأ كتابا عن نظام الملك ، أو عن صلاح الدين الأيوبى ، فلا تجد الا قليلا عما انشاه هذا أو ذاك من المدارس ودور العلـــم ، أو قام به من اصلاحات فى التربية والتعليم ، فى الوقت الذى تجد فيه كتابة مسهبة عن تاريخ حياة كل منهما ، واعماله السياسية ، وحـــروبه العسكرية • لهذا كله يجد الباحث صعوبة كبيرة اذا أراد أن يكتب عن التربية فى الاسلام • فقد يقرأ كثيرا من الكتب العربية والادبية والتاريخية والسياسية القديمة ، فلا يجد فيها الا فصولا متفرقة، وأبوابا محدودة ، ونصائح مبعثرة ، ورسائل تتعلق بالمعلم والمتعلم أو تتصل من قريب أو بعيد بالتربية والتعليم • وقد يحتاج الى كثير من المراجع لكتابة أى موضوع من موضوعات التربية الاسلامية •

ومع هذا لا يستطيع أحد أن ينكر أن للعرب والمسلمين كل الفضل على الغرب والغربيين ، وأن للعلوم العـــربية والحضـــارة الاسلامية أثرا كبيرا فى النهضة الاوروبية الحالية ، فقد نقلت العلوم والثقافة العربية ، والمدنية الاسلامية والفنون الشرقية ـ بعـــد أن ازدهرت وارتقت ، ونضجت وأثمرت على أيدى علمـــاء الاســـلام وفلاسفته ـ الى أوروبا فى عصورها المظلمة ، فى القرون الوسطى؛ فللعرب والاسلام والشرق قديما كل الفضل فى نشر العلم والثقافة، والحضارة والفن فى الغرب وأوروبا الحالية • فقد كان للتربيـــة الاسلامية أكبر الأثر فى النهوض بكل أنواع التربية بما اقتبس منها من المبادىء المثالية فى الدين والاخلاق ، ومراعاة النـــواحى

الانسانية والاجتماعية والتعاونية ، كالاخاء والحرية والمساواةوالعدالة وتكافؤ الفرص ، والوحدة الروحية بين المسلمين فى الامبـراطورية الاسلامية العظيمة • ولا عجب ، فعلى هذه الاسس القوية، والقواعد الذهبية أسست التربية الاسلامية فى عصورها الاولى •

وقد راعيت فى تاليف هذا الكتاب المثل العليا التى ينادى بهـا دائما قائدنا الملهمالمحبوب **الرئيس جمال عبد الناصر • وكان للسيد وزير الاوقاف ذى القلب المؤمن احمد عبد الله طعيمة الفضـل فى احياء تلك السلسلة الثقافية من الكتب الاسلامية** ، ومنها هـذا الكتاب ، وهو : « الموجز فى التربية الاسلامية » ويليه كتاب آخـر مفصل يشمل معاهد التربية الاسلامية ومناهجها ، والتربية الخلقية فى الاسلام ، والعقوبة فى الاسلام ، وعلاقة التربية الاسـلامية بالتربية الحديثة .

وأعتقد تمام الاعتقاد أن التربية الاسلامية ستنالما تستحقه من العناية **فى هذا العهد الميمون • وبهذا المجهود المتواضع ارجو ان أكون قد قمت ببعض الواجب نحو الاسلام ، وأن يجد القارىء فى هذا الكتاب ما يشبع رغبته ، ويفتح سبيل البحث أمامه ، والله أسأل ان يعيد للاسلام مجده الماضى ، ومبادئه المثالية ، وحضارته الخالدة ، انه سميع مجيب •**

المؤلف

الفصل الأول

اغراض التربية الاسلامية

٢ ـ ان التربية الخلقية هى روح التربية الاسلامية ٠

فقد اجمع فلاسفة الاسلام على أن التربية الخلقيـــة هى روح التربية الاسلامية ، والوصول الى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقى من التربية ٠ وليس معنى هذا أن نقلل العناية بالتربية الجسمية أو العقلية أو العلمية أو العملية ، بل معناه أن نعنى بالتربية الخلقية كما نعنى بالأنواع الأخرى من التربية ، فالطفل فى حاجة الى قوة فى الجسم والعقل، والعلم والعمل ، وتربية الخلق والوجدان ، والارادة والذوق والشخصية ٠

وقد اتفق علماء التربية الاسلامية على أنه ليس الغرض من التربية والتعليم حشـــو أذهان المتعلمين بالمعلومات ، وتعليمهم من المواد الدراسية مالم يعلموا ، بل الغرض أن نهذب أخلاقهم ، ونربى أرواحهم ، ونبث فيهم الفضيلة ، ونعودهم الآداب السامية، ونعدهم لحياة طاهرة ، كلها اخلاص وطهارة ٠ فالغرض الأول والأسمى من التربية الاسلامية تهذيب الخلق ، وتربية الروح ، وكل درس يجب أن يكون درس أخلاق ، وكل معلم يجب أن يراعى الاخلاق ٠ وكل مؤدب يجب أن يفكر فى الأخلاق الدينية قبل أى شىء آخـــر ٠ والاخلاق الدينية هى الاخلاق المثالية الكاملة ، والخلق النبيل عماد

التربية فى الاسلام • ويرى الغزالى : أن الغرض من التربيةالتقرب الى الله ، دون الرياسة والمباهاة ، وألا يقصد المتعلم بالتعلم الرياسة والمال والجاه ، ومجاراة السفهاء ، ومباهاة الاقران ، وهو لايخرج عن التربية الخلقية •

ومن الممكن أن نلخص الغرض الاساسى من التربية الاسلامية فى كلمة واحدة هى : « الفضيلة » •

٢ ـ العناية بالدين والدنيا معا :

لم يكن أفق الاسلام ضيقا فى النظر الى أغراض التربية ، فلم يقصر التربية على الناحية الدينية ، ولم يقصرها على التربية الدنيوية بل نادى الرسول الكريم حاثا كل فرد من الامة الاسلامية بالعمل لدينه ودنياه معا ، حيث قال : « **اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا** » • فلم يفكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وحدها ، أو الدين وحده ولكنه فكر فى العمل لهما معا ، بدون اهمال للعالم الدنيوى أو العالم الدينى •

٣ ـ العناية بالنواحى النفعية :

كما عنيت التربية الاسلامية بالنواحى الدينية والخلقية والروحية فى التربية والتعليم ، لم تهمل العناية بالنواحى النفعية فى معاهدها ومناهجها • ويتضح هذا الغرض **من كتاب عمر بن الخطاب** رضى الله عنه الى الولاة : « **أما بعد ، فعلموا أولادكم السباحة ، والفروسية ، ورووهم ما سار من المثل ، وما حسن من الشعر** »• فعمر يأمر بتعليم الاولاد السباحة والعوم ، والفروسية والرياضه البدنية ، والمهارة الحربية ، والعناية باللغة العربية ، ورواية الامثال

السائرة، والشعر الحسن ، وانأثر علماء الاسلام فى النهضةالعلمية لايستطيع أن ينكره الا كل مكابر متعصب ، قال (مونرو) فى كتابه « تاريخ التربية » : » ففى الطب والجراحة وعلم العقاقير ، والفلك ، وعلم وظائف الاعضاء ـ وصلالمسلمون الىاختراعات هامة،واخترعوا ساعة البندول ... وعلموا أوروبا استعمال البوصلة والبارود » .

فالتربية الاسلامية لم تكن كلها دينية وخلقية وروحية ، ولكن هذه الناحية كانتمسيطرة علىالناحية النفعية ، ولم تكن فىأساسها مادية ، بل كانت المادة أو كسب الرزق أمرا عرضيا فى الحياة ، لم يقصد الكسب لذاته ، بل كان أمرا ثانويا فى التعليم .

وقد كان من رأى الفارابى وابن سينا واخوان الصفا أن الكمال الانسانىّ لا يتحقق الا بالتوفيق بين الدين والعلم .

٤ ـ دراسة العلم لذات العلم :

كان طلاب العلم من المسلمين يدرسونه لذاته ، فهو فى نظرهم ألذ شىء فى الحياة والانسان محب للاطلاع بفطرته ، **لهـــذا عنى فلاسفة الاسلام بدراسة كثير من العلوم والآدابوالفنون ،ليشبعوا مالديه من ميل فطرى الى حب الاطلاع والمعرفة . وهذه هى التربية المثالية حيث يدرس الطالب العلم لذات العلم ، والأدب لذات الأدب والفن لذات الفن ، لأن فيها لذة علمية أو أدبية أو فنية لا نظير لها .** قال الحاج خليفة فى (كشف الظنـــون) « والعلم ألذ الاشـــياء وأفضلها ... » وقال فى موضوع آخر : « ليس الغرض منالدرس تحصيل الرزق فى هذه الدنيا ، ولكن الغرض الوصول الى الحقيقة، وتقوية الخلق » ، أى الوصول الى الحقيقة العلمية ، والخلق الكامل .

فالتربية الاسلامية كانت مثالية ، تطالب بالعلم لما فيه من لذة روحية ، وللوصول الى الحقائق العلمية ، والاخلاق النبيلة ، وان من ينظر الى ما خلفه المسلمون من تراث علمى وأدبى ، ودينى وفنى يجد أمامه ثروة خالدة لانظير لها فى العالم كله ، تدل على شـــدة تعلقهم بالعلم لذاته ، والأدب لذاته ، والفن لذاته ، وليس معنى هذا أنهم أهملوا التعلم لكسب الرزق كلية . ويتبين هذا من الغـــرض التالى :

٥ ـ التعليم المهنى والفنى والصناعى لكسب الرزق :

لم تهمل التربية الاسلامية اعداد كل فرد لـكسب رزقه فى الحياة ، بدراسة بعض المهن والفنون والصناعات ، والتدرب عليها ويظهر هذا الغرض واضحا من قول ابن سينا : **اذا فرغ الصبى من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك الى ما يراد أن تكون صناعته ، فيوجه لطريقه** ... ويعد اعدادا مهنيا أو فنيا أو صناعيا حتى يجيد مهنة من المهن ، أو فنا من الفنون ، أو صناعة من الصناعات حتى يتمكن من كسب رزقه ، ويحيا حياة شريفة ، مع المحافظـــة على الناحية الروحية والدينية ، فالتربية الاسلامية كانت خلقيـة غالبا ، ولكنها لم تهمل اعداد الفرد للحياة ، وكسب العيش والرزق ولم تنس تربية الجسم والعقل والقلب ، والوجدان والارادة والذوق واليد واللسان والشخصية .

الفصل الثانى

العلم والتعليم فى نظر الاسلام

الدين الاسلامى يأمر بتعميم التعليم :

ان الدين الاسلامى دين علم ونور ، لا دين جهالة وظلمة ؛ فأول آية نزل بها الوحى فيها أمر للرسول بالقراءة وتكرار لذلك الأمر ، وتنويه بشأن العلم والتعليم ، نلمسه فى اسناد التعليم الى الله تعالى « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم** . » وقوله تعالى مخاطبا نبيه محمدا « **وقل رب زدنى علما** » وقوله « **شهد الله أنه لااله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط** » فبدأ عز وجل بنفسه ، ثم ثنى بالملائكة ، ثم ثلث بأهل العلم . وتاهيك بهذا شرفا وفضلا ونبلا . قال تعالى : « **تلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون** » أى ولا يفهمها الا العلماء المثقفون .

وفى مواطن كثيرة نوه القرآن الكريم بشأن العلماء ، وما لهم من منزلة رفيعة ، ومكانة سامية ، فقال «**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » وقال : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** »

فالعلم مقدس فى نظر الاسلام ، وهو أسمى شىء فى الحياة لدى المسلمين • وللعلماء العاملين منزلة فى الاسلام تلى منزلة الانبياء • قال الرسول الكريم : « **العلماء ورثة الأنبياء** » فرتبة العلمـــــاء العاملين تلى رتبة الانبياء •• وقد قيـــل : ان العلماء يشفعون للناس يوم القيامة بعد الانبياء • قال صلى الله عليه وسلم: «**ان مداد العلماء خير من دماء الشهداء** » •

وقد دعا الرسول الكريم الى التعليم وأوجبـــــه ، فقال « **علموا أولادكم ، فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم** » • ولم يفرق الاسلام فى طلب العلم بين الابناء والبنات ؛ فقد قال رســـول الله صلى الله عليه سلم « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » من غـــير تفرقة بينهما ، فالدين الاسلامى يطالب المسلم والمسلمة بالتعـــــلم وطلب العلم ، والعمل به ، والاجتهاد فى نشره •

ولم يقف الاسلام عند الدعوة الى نشر العـلم والتعليم فحسب ؛ بل دعا الى الاستمرار في طلب العلم والتعلم ، والبحث والاطلاع ، فقال الرسول « **لايزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن أنه قـد علم فقد جهـــل** » • وقال : « **يستغفر للعـــــالم ما فى السموات والارض**» • قال الغزالى تعليقا على هذا الحديث : وأى منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له ؟ ، فالعالم مشغول بنفسه ، والملائكة مشغولون بالاستغفار له •

وكان صلى الله عليه وسلم يشجع التعليم بعمله وقوله ؛ فقد كان يطلق سراح الأسرى المتعلمين من الـــكفار اذا علموا بعض المسلمين القراءة والكتابة ، حرصا منه صلى الله عليه وسلم على ذيوع التعليم

ونشره بين جمهرة المسلمين • ولم يفته أن يعطى المرأة حظها ونصيبها فى تعلم القراءة والكتابة ، فقد سأل الشفاة العدوية ان تقوم بتعليم زوجه السيدة حفصة القراءة والكتابة ، ضاربا بذلك احسن الامثال لأمته فى وجوب تعليم الفتيات والبنات •

وقد خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما فيه قوم يدعون الله عز وجل ، ويرغبون اليه ، وفى الثانى جماعة يعلمون الناس ، فقال : « **أما هؤلاء فيسألون الله ، فان شاء أعطاهم ، وان شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الناس ، وانما بعثت معلما** » • **ثم عدل اليهم ، وجلس معهم** • وبذلك ضرب النبى لنا خير مثل فى تشجيع العلم ، ونشر التعليم ، والاشادة بفضل المعلمين • وحسبك أن العلم فى نظر الرسول الكريم قوام الدنيا ، وقوام الدين ، حيث قال : « **من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم** » • وقال أيضا : « **الناس رجلان ، عالم ومتعلم ، ولا خير فيما سواهما** » وقال صلى الله عليه وسلم : « **لموت قبيلة أيسر من موت عالم** • » وقال : « **فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب** » وقال : « **من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة** » • وقال : « **ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع** » • وكلها أحاديث تشيد بفضل العلماء العاملين ، وتحث على طلب العلم ، وتدل على أن الاسلام يطالب بالتعليم ونشر العلم ، والتخلص من الجهل والامية •

وفى الأثر : أفضل الناس المؤمن العالم ، الذى ان احتيج اليه نفع ، وان استغنى عنه أغنى نفسه •

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لكميل : يا كميل ، العلم خير من المال ؛ العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالانفاق .

وقال أيضا : « العالم أفضـــل من الصائم القائم المجاهد ، وقال نظمـــا :

ما الفخر الا لأهل العلم انهـم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ماكان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعـــلم تعش حيابه أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أيضا ، وأشار الى صـــدره : « ان ها هنا لعلوما جمة ، لو وجدت لها حملة » . وقد صدق رضى الله عنه ؛ فقلوب الابرار قبور الأسرار .

وقال عمر رضى الله عنه : يأيها الناس عليكم بالعـــلم ، فان لله سبحانه رداء يحبه ، فمن طلب بابا من العلم رداه الله عـز وجـــل بردائه .» ولا عجب ، فبالعلم تحيا القلوب بنور الحكمة ، كما تحيا الارض بوابل السماء .

وقال بعض الحكماء : اذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء ، والطير فى الهواء ، ويفقد وجهه ، ولا ينسى ذكره . وقيل : كن عالمـــا أو متعلما أو مستمعا ولا تكن جاهلا فتهلك .

وقال الحسن رضى الله عنه **لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم . وهو يقصد أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد الحيوانية الى حـد الانسانية .**

وقيل تعلموا العلم ، فان تعـــلمه لله خشية ، وطلبه عبـــادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهـــاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لاهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحـدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ... والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة ، يرفـــع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة ، هداة يقتدى بهم ، أدلة فى الخير ، تقتص آثارهم ، وترمق أفعـــالهم ، وترغب الملائـــكة فى خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، لأن العلم حياة القلوب ، ونور الأبصار ، به يبلغ الانسان منازل الأبرار ، وبه يطاع الله عز وجل ، وبه يعبد ، وبه يوحد ، وبه يمجد ، وبه توصل الأرحام ، يلهمه الســـعداء ، ويحرمه الأشقياء .

وقد خير حكيم من كبار الحكماء بين المال والملك والعلم ، فاختار العلم ، فأعطى الملك والمال لاختياره العلم .

وقد رأى ابن مسكويه والغزالى ـ وهما من علماء الاسلام ـ أن العلم غذاء للروح ، وغذاء للعقل ، وعد ابن خلدون العـلم والتعليم طبيعيا فى العمران البشرى ، وقال : « ان الانسان قـــد شاركته جميع الحيوانات فى حيوانيته من الحس والحركة والغذاء .. وغير ذلك ، وانمـا تميز عنها بالفكر .. وعن هـــذا الفكر تنشأ العلوم والصناعات » .

وكان الخلفاء من المسلمين يجلون الأدباء والعـــلماء ، ويغدقون عليهم المنح والعطايا ، ومما يدل على اجلالهم للعلم أنهم كانوا يحثون أبناءهم على تلقيه ، ويرغبونهم فيه ، فهذا عبـــد الملك بن مروان يوصى أبناءه فيقول : « يابنى تعلموا العلم ، فان كنتم سادة فقتم

وان كنتم وسطا سدتم ، وان كنتم ســـوقة عشتم » • فالتعليم فى نظره يجعل السادة فائقين ، ويصـــير المتوسطين ســـادة ، ويمكن السوقة من كسب العيش والحياة •

وذاك مصعب بن الزبير يقول لابنه : « تعلم العلم ، فان لم يكن لك جمال كان لك جمالا ، وان لم يكن لك مال كان لك مالا » • فالعلم زينة من لا زينة له ، ومال من لا مال له •

وذلكم الرشيد يعهد الى ســـــيبويه بتأديب ابنه المأمون ، والى الأحمر ــ وهو على بن الحسن ــ بتأديب ابنه الامين • ومن وصيته التى يجب على المربين أن يتخـذوها نبراسا لهم فى تربية أبنائهم : « يا أحمر ؛ ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمـــرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمـــير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعـــرفه الأخبار ، وروه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا فى أوقاته ، وخذه بتعظيم بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القـــواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بـــك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها ، من غير أن تحزنه ، فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته ؛ فيستحلى الفـراغ ويألفه ، وقومه ما استعطت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة •»

وفى هذه الوصية تتمثل الحكمة وسداد الرأى ؛ فهى تحتـــوى منهجا من أحسن المناهج الدراسية للمعاهد الثانوية ؛ فمن قـــراءة للقرآن الكريم ، الى دراسة للتاريخ والاخبـــار ، ومن رواية للأدب والأشعار ، الى تعلم السنن ، ودراسة اللغة وبلاغتها ، ومن تربيـــة دينية وأدبية أو علمية الى تربية خلقية واجتماعية • وان الجزء الأخير

من الوصية خير دستور فى المعاملة الطبيعية ، والعقوبة المدرسية ، حيث يقول : « **ولا تمعن فى مسـآمحته فيسـتحلى الفراغ ويالفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشـدة والغلظة** » .

وقد أفاض الحكماء والأدباء والفلاسفة فى هذا السبيل . فالغزالى يقول : «من أصاب علما فاستفاده وأفاده كان كالشمس تضىء لنفسها ولغيرها وهى مضيئة ، وليس يغيب عن ذهننا ما قاله بعض حكماء الاسلام : «اطلبوا العلم من المهد الى اللحد.اطلبوا العلم ولو بالصين»

وقيل لأبى عمرو بن العلاء : « هل يحسن بالشيخ أن يتعلـم ؟ قال : أن كان يحسن به أن يعيش ، فانه يحسـن به أن يتعلم » . ولا شك أن الطفل أولى من الشيخ فى التعلم .

وقال الغزالى رحمه الله (١) : العلم يقتنى كما يقتنى المال ..فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السماء ، فانه ... كالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب . والذى يعلم ولا يعمل كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم ، وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع ، والابرة التى تكسو غيرها وهى عارية ، وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق . كما قيل :

ما هو الا ذبالة وقـدت تضىء للناس وهى تحترق

وقد قيل فى الأثر : تعلموا العلم ، فانه سبب الى الدين ، ومنبه للرجل ، ومؤنس للوحشة ، وصاحب فى الغربة ، ووصلة فى المجالس، وجالب للمال ، وذريعة فى طلب الحاجة » . فمن آثار العلم انه يؤدى الى

---

(١) ارجع الى الاحياء حـ ١ ص ٤٩

الدين اذا عمل به ، وينبه الانسان الى ما ينفعه وما يضره ، ويؤنسه فى وحدته ووحشته ، يكون صديقا له فى غربته ، ووصـــــلة له فى المجالس والمنتديات ، ويجلب له المال ، ويكون وسيلة لطلب ما يحتاج اليه ، وهى فوائد جليلة ، وآثار عظيمة .

قال الشاعر :

يعد رفيع القوم من كان عالمـا وان لم يكن فى قومه بحسيب
وان حل أرضا عاش فيهابعلمه وما عالم فى بلدة بغـــــريب

فالعالم ــ وان كان ذا أصل وضيع ــ يعد فى نظر الاسلام رفيعا حسيبا ؛ لأن الدين الاسلامى لا يفكر فى نسب أو حسب ، ولـــكنه يفكر فى علم وعمل ، وتقوى وطهارة ، واذا نزل بأرض استطاع أن يعيش فيها بعلمه ، وليس العـــالم غريبا فى أى بلدة من البلاد . فالعلم أساس للنجاح فى هذه الحياة ، به يستطيع الفقير ان يصل الى أكبر مركز ، وأعلى منصب فى الدول الاسلامية . فبالعلم والتعليم قلت الفروق الاجتماعية فى الاسلام ، وظهرت المســاواة فى تكافؤ الفرص ، ولم يكن الفقر أو وضاعة النشأة عقبة فىالوصول الىالمراتب السامية ، والمناصب العالية فى العالم الاسلامى ، لأن الاسلام دين الديمقراطية الحقة ، والعدالة المطلقة ، والمساواة التامة .

ان الفتى من يقـــول هأنذا ليس الفتى من يقول كان ابى

فالمسلمون يحـــكم عليهم بعلمهم وعملهم ، لا بمولدهم وعنصرهم وأصلهم ، ولا تأثير للآباء والاجداد ، والاحساب والانساب ، والغنى والفقر فى الحصول على المراكز الرفيعة فى الاسلام ، فالعدالة فيـــه